شعائر عاشوراء والاربعينية :

تاريخ من المنع ومحاربة الظلم

كربلاء / المدى

الشعائر الحسينية واحدة من ممارسات العقيدة الإسلامية لدى الشيعة التي لها تاريخ طويل يمتد إلى مئات السنين حين بدأت أولى ملاحمها تظهر على واقع الحياة كرد فعل على فاجعة واقعة الطف التي أصبحت ثورة من الثورات التي كتب التاريخ لها الخلود واحد أهم أسباب الخلود لها استمراريتها وإدامتها واعتبارها شعيرة لا يمكن نسيانها خاصة وان الثورة الحسينية صاحبتها مأساة مقتل الحسين وأخيه وأولاده وأصحابه وسبي النساء من أهل بيته حتى أصبحت قصة لها معلم ودروس استفاد منها حتى الثوار في العصر الحديث.

لكن هذه الشعائر تعرضت إلى الكثير من المضايقات على مر العصور وكما يقول عنها الشيخ عبد علي الحميري رئيس تجمع الهيئات والمواكب الحسينية في العراق أصبحت هدفا لكل الحكومات مثلما أصبحت طريقاً لكسب ود المواطنين في بداية عمل حكومة جديدة.

البداية والأثر

يقول رئيس تجمع الهيئات..إن الكتب التاريخية ذكرت لنا إن البداية الأولى للشعائر الحسينية ومنها أربعينية الإمام الحسين كانت لا تتعدى عن كونها اجتماع بسيط لمحبي الحسين ويشهد هذا اللقاء إلقاء قصائد دينية تترجم الحالة الاجتماعية والسياسية في تلك اللحظة..وأضاف..في زمن الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين انطلقت البداية الأولى لهذه الشعائر حين استذكروا أربعينية الإمام الحسين في داره في المدينة المنورة لتنطلق بعدها هذه الشعائر إلى العالم الإسلامي ومنها العراق.

وبين الحميري إلى إن الشعائر الحسينية وخاصة أربعينية الإمام الحسين وهي الزيارة التي تشهد توافد أعداد غفيرة من المواطنين لزيارة مرقد الإمام الحسين تحولت إلى صبغة سياسية تمكن من خلالها الحكومات للقضاء على أصحابها..ذاكرا إلى إن أول موكب للطم كان في مدينة الكاظمية عام ١٨٤٠ حسب ما ذكره المؤرخ العراقي علي الوردي في كتابه (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث)وبعدها في عام ١٨٤١ تكونت مواكب أخرى في النجف وكربلاء وباقي المدن العراقية وأصبحت بعدها لكل منطقة في المدينة لها موكب باسمها.

مسالم و قطع الأيادي

يبدو إن هذه الشعائر كانت مرصودة من قبل الحكام والسلاطين في كل الأزمان مثلما كانت طريقا لكسب الود والتأييد ولكن وكما يقول الحميري إن هذا الود سرعان ما ينتهي عندما تنتهي الحاجة لذلك..مضيفا..في زمن المتوكل العباسي في أواخر الدولة العباسية بدأت أولى محاولات معاقبة السائرين على الأقدام إلى ضريح الحسين وكان الزوار الذين يفدون إلى كربلاء تقطع أيديهم وأرجلهم إذا ما شاهدهم احد من العسس بل إن الزائر وكما يقول الحميري كان يعاقب على الشبهة والظن وتلصق به تهمة إنه من أتباع هذه الشعائر..وأكد الحميري..إن ابن الأثير ذكر في كتابه إن زمن المتوكل شهد وجود (مسالح) أو ما تسمى اليوم بالمفارز الراجلة تجوب الصحراء على حدود كربلاء لمراقبة وإلقاء القبض على الزوار..وهذا يبين ما كان يلاقيه أتباع أهل البيت من المسلمين آنذاك من بنيالعباس الذين كانوا يرومون وحسب اعتقادهم القضاء على هذه الشعائر حتى أصبح العذاب في الزمن العباسي أكثر من العذاب في الزمن الأموي.

الطابع السياسي

ما تزال الردات الحسينية التي ترددها بعض المواكب لها طابع سياسي تستغل ما يجري من أحداث في البلد لكي تقول ما تشاء وكأنها أي المواكب الحسينية مكان المعارضة للنظام إن كان مستبدا أو ظالما أو كانت الحكومة مقصرة في أدائها..وقد اشتهرت من هذه المواكب موكب العباسية في كربلاء وموكب الرميثة في السماوة وموكب أهالي سوق الشيوخ بمحافظة ذي قار بل إن لكل مدينة موكب يردد الأشعار السياسية ولها شعراء متخصصون في هذا المجال.

يقول رئيس تجمع المواكب..الشعائر الحسينية هي رد ديني وسياسي معا بل هي تحد صارخ لأي حكومة ظالمة لأنها تذكر بمظلومية الإمام الحسين خاصة إذا ما كانت هذه الحكومة هي حكومة احتلال كما الحكومات التي مرت على العراق..وأضاف..لذلك كانت الحكومات تستغل هذا الطابع وتحاول طمره أو إسكاته أحيانا أخرى..ويشير الحميري..بعد سقوط الدولة العباسية واحتلال العراق من قبل العثمانيين نشطت ممارسة هذه الشعائر وذلك بسبب انشغال الدولتين بالحرب بينهما على مراكز القوى الحياتي مما جعل هذه الشعائر تأخذ بعدا آخر من التوجه إلى أقصاه في ذلك الزمن إلا انه ما استتب الوضع لصالح العثمانيين وبعد أن تركت الشعائر تمارس لبضع سنوات..إلا إن العثمانيين انقلبوا بعد ذلك على مقيميها وخصوصا في زيارتي عاشوراء وصفر التي هي وفاة الرسول الأعظم محمد (ص) حيث يؤدي الشيعة ذات الشعائر وهي السير على الأقدام إلى مدينة النجف..وراحوا يمارسون أقسى المحاولات لإسكات هذه الشعائر..مشيرا إلى إن جميع الحكومات الظالمة اعتبروا هذه الشعائر كفرا في جانبها الديني ومعارضة في جانبها السياسي في حين يعتبرها القائمون تطبيقا للآية الكريمة (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب).مضيفا إلا إن العثمانيين استمروا بمضايقة هذه الشعائر حتى جاء الاحتلال البريطاني للعراق بعد الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٦ انتعشت هذه الشعائر مرة أخرى بسبب بحث بريطانيا عن أسباب استقرار الوضع في العراق وطرد العثمانيين نهائيا فكان التوجه أولا إلى الشيعة لأنهم رافضون للوجود العثماني فتركوا الشعائر تقام بلا رقيب أو حسيب..ويضيف الحميري إلا انه وبعد استقرار الوضع في العراق ورؤية الشيعة من أنهم ضد الاحتلال البريطاني ولم تنفع معهم محاولات تركهم يقيمون شعائرهم الدينية ومنها زيارة أربعينية الإمام الحسين وكانت القوات البريطانية قد أصدرت أمرا لاستمالتهم في ولاية بغداد بغلق كافة النوادي والملاهي يوم العاشر من محرم الحرام على أساس احترام تلك الشعيرة وهذا جاء استجابة لمذكرة رفعها عدد من علماء الدين ووجهاء مدينة الكاظمية..مؤكدا..ومع ذلك فان هذه المحاولات لم تنفع فقد بدأت قوات الاحتلال البريطاني بمضايقة القائمين على هذه الشعائر من جديد لأنها أصبحت تشكل قوة رافضة للاحتلال..مشيرا الى ان كتاب (الثورة العراقية الكبرى) للعزاوي ذكر فيه إن كثير من الشخصيات الدينية والسياسية والعشائرية اجتمعت في كربلاء في زيارة أربعينية الإمام الحسين وتحالفوا على القيام بثورة العشرين ووقعوا على وثيقة (عهد) تلزمهم بالقيام بالثورة.

المرحلة الملكية

في كل عام يعتبر يوم العاشر من محرم الحرام عطلة رسمية ولم تكن هذه العطلة وليدة رغبة قديمة بل هي كما يقول الحميري حصلت بعد تنصيب الملك فيصل الأول ملكا على العراق في عام ١٩٢١والذي هو الاول الذي جعل يوم العاشر من محرم عطلة رسمية حين اصدر بيانا بذلك لتنتعش الشعائر الحسينية من جديد وذلك لكسب ود هذه الجماهير الكبير ولكي يتم استقرار الوضع خاصة وان الثورة لم تبرد نارها بعد..

ويشير الحميري إلى إن حكومة الملك ورغم انها هي التي جعلت هذا اليوم عطلة رسمية عادت مرة في عام ١٩٢٨ لتمنع زيارة الأربعين تحديدا ولتملا السجون بمؤديها وخاصة السائرين على الأقدام لتبدأ مرحلة المصادمات الدموية التي لم تهدأ إلا برضوخ الحكومة لمطالب الشعب بان يمارس الناس شعائرهم.

١٩٥٨- ١٩٦٨

بعد ثورة تموز ١٩٥٨ التي نقلت العراق من الملكية إلى الجمهورية ليبدأ عصر جديد من الحريات وكان مؤدو هذه الشعائر من أكثر الناس فرحا للثورة لأنها ستسمح لهم بزيارة عاشوراء وتأدية مسير يوم الأربعين.

يؤكد رئيس تجمع الهيئات..كان عبد الكريم قاسم يرعى هذه الشعائر بنفسه لتنشط من جديد وبشكل قوي وبإعداد كبيرة لان زمن الخوف قد ولى وكانت سنوات حكم عبد الكريم هي من أفضل السنوات وهي الحكومة الوحيدة التي لم تمنع فيها ممارسة الشعائر الدينية.

ويشير الحميري إلا إن الطامة الكبرى حدثت بعد انقلاب تموز ١٩٦٨ وهذا الانقلاب حمل مرحلتين بالنسبة لهذه الشعائر..ويوضح..في البداية كان الحال هادئا وكان البعثيون يرعون هذه الشعائر أو لنقل يشاركون فيها لان عينهم كانت تتجه نحو تأييد غالبية الشعب لهم وكان لا بد أن تقوم الحكومة الجديدة باستمالة هذه الجموع بجعلها تقوم بتأدية طقوسها وشعائرها..إلا إن الحال لم يحمل هذه الصفة فقط بل شهد معه البداية الأولى لوجود الاستخبارات داخل المواكب..ويؤكد الحميري..كان البعثيون يتقربون لأصحاب هذه المواكب من اجل التعرف على الزائرين والناشطين في هذا المجال لتبدأ معها في مرحلة السبعينيات زج الكثير من الرجال في السجون وعذبوا وشردوا بل واعدم قسم منهم تحت حجة معارضة النظام..مضيفا..في عام ١٩٧٤ منع النظام السابق كافة المواكب من القدوم إلى كربلاء في أربعينية الإمام الحسين فحدث في العام التالي ١٩٧٥ الانتفاضة الكبيرة التي عرفت بانتفاضة (خان النص) وقد شهدت هذه الانتفاضة معركة دامية بين أزلام النظام السابق وحشود الزائرين وأطلقت من خلالها الهوسة المشهورة (لو قطعوا أرجلنا واليدين نأتيك زحفا سيدي يا حسين). وقد قتل في هذه الانتفاضة المئات من الزوار ليستمر المنع حتى سقوط النظام عام,٢٠٠٣

لتنشط من جديد وبشكل مكثف جدا هذه الشعائر وخاصة زيارة أربعينية الإمام الحسين وقد حصل هذا العام أن أدى هذه الزيارة أكثر من ٦ ملايين زائر وكانت فيها عملية تحد أيضا لقوى الإرهاب الذين قتلوا عشرات الزائرين على الطرقات..وأشار..إلى إن هذا العام وأمام هذا التحدي اختلف عن السنوات الأخرى ليس في طبيعة قطع المسافات بل إن الزوار وأمام هذا التحدي كانوا يصلون تباعا إلى كربلاء حتى بعد انتهاء يوم الأربعينية لان السائرين لم يصلوا في وقتهم وكان لديهم الإصرار على الوصول لتأدية الزيارة.

لماذا توقفت المشاريع في مدينة الصدر؟

بغداد / محمد خضير السعدي

مدينة الصدر هي إحدى المدن الكبرى في بغداد من حيث الكثافة السكانية. وعانت هذه المدينة في الزمن السابق والى يومنا هذا من نقص الخدمات وسوء التخطيط في البنى التحتية لهذه المدينة وأهمها الماء والمجاري وشوارعها غير المنتظمة التي أثرت عليها سلبياً. هناك نكتة يرددها أهالي المدينة (إذا غيمت الدنيا انسدت مجاري المدينة). إن مشكلة المجاري تعتبر من المعضلات الكبيرة في المدينة، حيث يصعب حلها. وبعد التغيير، استبشر أهل المدينة خيراً ومنذ أكثر من أربع سنوات والمدينة على حالها. ففي بداية عام ٢٠٠٧، بدأت كل الملاكات الهندسية في أمانة بغداد حملة لإعمارها وبدأت الحفريات لتبديل شبكات المجاري واكساء الشوارع وإنشاء الأرصفة وتم تهيئة كل المستلزمات لغرض إنجاح هذه الحملة وخصصت وزارة المالية لمدينة الصدر ١٥ مليار دينار عراقي. وبعد شهر من العمل توقفت كل المشاريع فيها وتركت المدينة على حالها، أما عن الحفر فمصيبة إذ شوهت الشوارع تماماً. وارتأينا أن نتجول في شوارعها التي زادت من معاناة أهلها، والتقينا بالمواطن صالح كريم الذي تحدث بمرارة عن هذا الموضوع، وسألناه عن سبب توقف المشاريع في المدينة، حيث قال:

- منذ أكثر من شهر تقريباً باشرت بلدية مدينة الصدر (بتفليش) الأرصفة القديمة وإنشاء غيرها وكما معروف أن البديل عادة يكون أفضل ولكن في الحقيقة إن ماناراه العكس تماماً إذ أن الرصيف القديم أفضل بكثير من الرصيف الحالي الذي وضعوه الآن من جميع النواحي.

- أما المواطن علي قاسم فقد تحدث عن موضوع الحفر بحسرة وألم قائلاً:

- ياأخي شوف الحفر التي حفرتها آليات الأمانة، بدأنا نخاف على أطفالنا من السقوط في هذه الحفريات. منذ أكثر من شهر والمدينة على حالها بالإضافة إلى شوارعها المقطوعة والازدحامات في كل مكان، ونحتار كيف نصل إلى مواقع العمل ولاتعرف متى تصل. نرجو من السادة المسؤولين معالجة هذه المشكلة.

وحدثنا المواطن أبو حسين: قائلاً: حين قامت البلدية بحفر الشوارع، بدأ الخراب يعم المدينة. ان الحفر يجري اليوم بطريقة عشوائية حيث تعرضت كيبلات الهاتف إلى القطع والعطب، فمنذ أكثر من شهر والاتصالات مقطوعة بالإضافة إلى انقطاع الماء.

والتقينا بالسيد خالد جبر مسؤول في مكتب هيئة تنفيذ المشاريع في مدينة الصدر الثانية وسألناه عن سبب توقف الأعمال في المدينة فقال:

في الحقيقة هناك عدة مشاكل نواجهها منها خطف أربع سواق مع سياراتهم المحملة بمادة الاسفلت في منطقة الكرمة وكما معروف مادة الاسفلت هي لاكساء الشوارع ومن الطبيعي ان يتوقف العمل في هذا الجانب، أما عن الأرصفة ورداءتها فهناك مختبر ابن رشد هو المسؤول عن هذا الموضوع. وهناك مجموعة من المهندسين الاختصاص قاموا بفحص العينات من الأرصفة وتمت الموافقة من قبلهم على إنشاء الأرصفة. أما بالنسبة لكونها من ثلاث قطع، في السابق كانت هناك سيارة مخصصة لهذا الغرض توضع فيها المواد الإنشائية ويكون الرصيف قطعة واحدة. تعرضت هذه السيارات إلى السرقة في الأحداث الأخيرة. أما فكرة ثلاث قطع، فهي بديل عن فقدان السيارة

❖ كم شارع توقف فيه العمل، وماهي نسبة الإنجاز وعدد الشركات الموجودة؟

-الشوارع هي شارع الجوادر والرضوي، نسبة الإنجاز ٣٤٪، أبو ذر ٦٠,٤٪، الكرامة ٥,٥٪، الحمزة وذي قار ٤,٤٪، وسيف علي ٣,١٪، كريم درعم ٦٪، زين القوس ٢,٧٪، العمال ١٠,٣٪، وشارع ٢٥ وشارع ٢٧ (٤٪). وعدد الشركات (٦) شركات: أما المشرف العام من قبل الأمانة المهندس عباس جاسم حسين.

نعتقد من خلال ماقمنا به من جولات في شوارع المدينة التي أصبحت خربة نتيجة سوء التدبير والتخطيط لهذه المدينة التي تعتبر من كبرى مدن العراق. ان السبب واضح في هذا الموضوع وهو نقص في الآليات التي من شأنها أن تطور وتسرع العمل في هذه المدينة. وعلى السادة المسؤولين أن يقوموا بجهد أكثر مما عليه اليوم لتقديم الخدمات لأهلها.

في عكركوف

المزارعون يكتشفون الآثار

بغداد/ حسين ثغب

زقورة عكركوف والمملكة التي حكمت العالم لقرون عديدة قررت الذهاب إلى ذلك المكان لمعرفة ما اجهله ويجهله كثير من المواطنين عن هذا المكان الأثري القريب من العاصمة بغداد . وتحولت زيارتي إلى جولة داخل هذا المكان وما يحيطه لجمع اكبر معلومات من السكان وغيرهم وشاءت الصدفة أن يكون متواجداً في المكان احد رجال الآثار ولديه معلومات قيمه عن هذه الزقوره .

حدثنا الاثاري محمد حسين سلمان من كلامه: أثار عكركوف من المواقع الاثريه المهمة التي شيدت على ارض وادي الرافدين وتعتبر معلم حضاري متميز وشاخص لأبناء العالم. فحضارة تتمثل بان هذه المنطقة كانت عاصمة إمبراطورية الكيشيين التي حكمت العالم طيلة أربعة قرون ونصف وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الملك الكيشي كوري كالزوم الأول وما هو شاخص اليوم من حضارة الكيشيين بقايا زقورة احد المعابد الرئيسية في تلك الامراطورية وكان يحيط بها سور ضخم جدا واحد الجوانب خلف السور من الناحية الشرقية للزقورة كانت هناك بحيرة من الماء طمرت مع مرور الوقت وتضم تحت تربتها الحالية كثير من الأسرار التي لم يصل إلى حقيقتها أي من الأثريين وذلك للإهمال الذي تعانيه المناطق الأثرية في العراق وزقورة عكركوف احدها فهذا الموقع لم يخضع لعمليات تنقيب دقيقة فقط محاولة تنقيب واحدة في عقد الخمسينيات من القرن الماضي ولم تكن بالمستوى المطلوب وجرت على مساحه صغيرة جدا تم من خلالها استخراج العديد من القطع الأثرية التي هي الآن محفوظة في المتحف العراقي. كما أن هذا الموقع تعرض إلى تجاوزات كثيرة من قبل الأهالي واستثمرت مساحات واسعة من موقع الآثار للزراعة وشق الأنهر وغيرها. وان المساحات الموجودة حالياً والتي لم تشهد عمليات تجاوز تعاني من الإهمال وعدم الحماية وهي بحاجه إلى عمليات تنقيب من قبل مختصين بهذا الشأن. إضافة إلى وجود تلال ومرتفعات كثيرة غرب الزقورة بحاجة إلى التنقيب لوجود علاقة وثيقة لحضارة عكركوف وتلك التلال .

أما المواطن علي إسماعيل الذي يسكن على احد التلال التي تبعد عدة كيلو مترات عن آثار عكركوف قال. هناك إهمال كبير لأثار هذه المنطقة التي تحتوي على ثروة كبيرة في باطنها يجهلها حتى المتخصص في مجال الآثار. لوجود حقيقة لا يرغب أي اثري البحث عنها في المواقع القريبة من الآثار فالمنطقة تحتوي على عدة تلول ترابية بعيدة بعض الشيء عن آثار عكركوف في قرى مختلفة فهناك تل عيسى في قرية وتل تراجف في قرية أخرى وتل الفرس إضافة إلى تلول منتشرة على مسافة أكثر من ١٥ كيلو متر عن منطقة الآثار بشكل دائري. فانا مثلا اسكن على تل عيسى وأحيانا نجد قطع أثرية تعود إلى أزمان نحن نجهلها وقطع أخرى لا نعرف ما هي وحقيقة نتجنب الحفر قرب بيتنا على التل لأننا نجد أشياء غريبة لا نعرف أن كانت تحمل إضرارا أو منافع معينة. كما أن هناك عوائل تسكن قرب التل تبتعد عن أي إعمال حفر قرب التل وهذا الحال ينطبق على جميع التلول القريبة من الآثار للأسباب ذاتها. ولا يوجد أي باحث اثري أو فريق بحث قد زار هذه المنطقة طيلة العقود الماضية ولا أتذكر إني شاهدت متخصص زار هذه الأماكن وتساءل عن واقع هذه التلال وهل يجد المزارع بها قطع أثار أو أشياء غريبة وكيف يتعامل سكان المنطقة مع محتوياتها. فمرتفعات المنطقة غنية وهذا دليل على أنها كانت مأهولة بالسكان في الماضي البعيد وان هناك حقائق يجب دراستها من قبل المختصين بهذا المجال لأننا جميعا في المنطقة نطرح تساؤلات كثيرة عن أهمية هذه التلول وهل هي طبيعية أو اصطناعية وما المغزى التاريخي منها.

وتابع الحديث المزارع سالم جعفر يسكن على بعد ٤ كيلو متر من منطقة الآثار. أن جميع المناطق التي تحيط منطقة آثار عكركوف تحتوي على قطع أثرية مختلفة الأشكال ويظهر ذلك عندما يقوم المزارع بعملية شق الأنهر الطويلة عند الأراضي المتموجة قرب المنطقة الأثرية حيث تظهر قطع من الآثار داخل التربة. وأنا مثلاً أقدمت على حفر أساس سياج لبيتي فوجدت قطعة من الآثار لا اعرف قيمتها الحقيقية واستقبلت عدة نصائح من ناس كثيرين في البحث عن من يشتريها ولكني أقبلت على تسليمها إلى مديرية الآثار وبدورها قاست المديرية بصرف مكافأة مالية لي لقاء تسليمي قطعة الآثار التي وجدتها وبنيت السياج دون حفر أساس له . إضافة إلى قطعة الأرض التي اسكنها تركت أي فكرة للحفر فيها كوني املك قطعة ارض بعيدة عن الآثار استغلها في الزراعة . وشار إلى أن هناك عدد كبير من العوائل التي تسكن بمحاذاة سياج الآثار وفي كثير من الأحيان عند قيامها بنشاطاتها اليومية تجد بالصدفة قطع آثار في أماكن مختلفة من المنطقة وكثير من المواطنين هنا لا يعرف القيمة الحقيقية للآثار ولذلك لابد أن تكون هناك ندوات تثقيفية للمواطنين الساكنين قرب الآثار تنفذها الجهات المختصة في هذا المجال وانا متأكد أن يكون لها صدى ايجابي لدى جميع الفئات العمرية في المنطقة . وبذلك نكون قد بذلنا جهداً بسيطاً ومحاولة محدودة للحفاظ على الآثار.